مقدمة

اللغة من أعرق مظاهر الحضارة الإنسانية، بل هى أصل الحضـــارة وصـــانعة الرقى والتقدم.

وقد حاول علماء اللغة وغيرهم من العلماء والفلاسفة والمفكـــرين- علـــى مـــر العصور- أن يسبروا نحو هذه الظاهرة الفريدة العريقة في حياة البشـــر للكشـــف عـــن حقيقتها وكنهها. وإذا كان علماء اللغة القدماء قد أدركوا ذلك، فإن العلماء فـــي العصـــر الحديث قد أدركوا ذلك أيضاً وأدركوا علاقة اللغة بالمجتمع الذي يعيش فيـــه، ومـــدى تأثرها به وتأثيرها عليه، كما عرفوا الصلة القائمة بين اللغة والنفس الإنسانية، وتلونهـــا بألوان الانفعالات والعواطف الوجدانية لدى بنى البشر .

وقد توقفت الدراسات اللغوية العربية بعد القرن الخامس الهجري فكل جهد بذل بعد ذلك القرن لا يتعدى الشرح أو التعليق أو التحقيق والتصويب، أما العمـــل المبتكـــر والذهن المبدع فقد قضى عليها ظهور العنصر التركي.

وقد اتسمت الدراسات اللغوية العربية بسمة الاتجاه إلى المبنى أساساً سواء فـــي علم المعاني، أو النحو. وقد اهتم النحاة بدراسة أصوات اللغـــة العربيـــة، و الصـــرف، والنحو. وكانت دراستهم للنحو تحليلية لا تركيبية.

كما عرف الدارس اللغوي اهتمام الأصوليين بدراسة اللغة عامة وقضية المعنى خاصة، وذلك للصلة الوثيقة بين اللغة والنصوص الدينية.. لقد فطن الأصوليين إلـــى أن المعنى هو العلاقة المتبادلة بين اللفظ ومدلوله.. (انظر أصـــول تراثيـــة فـــي علـــم (د.كريم زكى حسام الدين) و (قضايا التقدير بين القدماء والمحدثين.(د. محمود سليمان ياقوت).

ويبدأ التحليل اللغوي من البنية أى "المستوى الصوتي" ويأتي بعد ذلك المستوى الدلالي، ومعناه أن تكون الجملة قد أدت معنى يحسن السكوت عليه.

وقد تعددت مناهج البحث اللغوي عند علماء اللغة ، وهـــى المـــنهج الوصـــفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن والمنهج التقابلي والمنهج الإحصائى: كـــل مـــنهج منها، يؤدي غرضاً لا يؤديه غيره، وإن مال الميزان في العصر الحديث مـــع المـــنهج الوصفي الذي تعددت طرائقه وتشعبت مسالكه.

إذا كان المنهج الوصفي هو المنهج الذي ساد في العصر الحديث، فإن النظريـــة التوليدية التحويلية واحدة من النظريات اللغوية الحديثة التي ظهرت في أواخـــر القـــرن العشرين. وقد تم اختيار هذه النظرية لتكون المنهج المتبع في هذه الدراسة لعدة أسباب، منها قربها من الدراسات النحوية العربية، والتقاؤها مع النحو العربي فـــي كثيـــر مـــن مبادئه العامة، وأنها أكثر قرباً بنظم النحو القديمة من أى مدرسة أخرى، وفيهـــا غلبـــة نظرتها التعليلية والتفسيرية على المعطيات اللغوية لإقامة نظريـــة لغويـــة. ومحاولتهـــا لإيجاد قواعد كلية تدرس من خلالها جميع اللغات، ومنها مراعاتها الجانب الإنساني في دراستها للغة حيث أعطت اهتمامها الأول لمتكلم اللغة.

موضوع الدراسة ودواعيه:-

تأتى هذه الدراسة – بناء الجملة الخبرية في ديوان البحتري – امتداداً لمرحلة الماجستير حيث كان موضوع رسالة الماجستير – الجملة الاسمية عند أبى تمام دراسة تركيبية ، وقد اخترت البحتري لعدة اعتبارات أنه تلميذ لأبى تمام ولاختلاف المدرسة الشعرية لدى الشاعرين فأبو تمام شاعر الصنعة ، والبحتري شاعر الطبع، ولعقد مقارنة بين الشاعرين في مرحلة تالية من حيث التراكيب والاستخدامات اللغوية.

وموضوع الدراسة بناء الجملة الخبرية في ديوان البحترى دراسة وصفية "توليدية تحويلية" نحاول من خلالها إثبات أن اللغة العربية لغة تتمتع بمرونة واسعة فهي تقبل بمرونتها أن تتغير مواقع مكوناتها، وتقبل أن يدخل عليها عناصر لغوية جديدة لإفادة معنى جديد، وهذا يتيح لها أن تستوعب أى منهج لغوي يظهر، والاستفادة من هذه المناهج اللغوية الحديثة في دراسة الجملة العربية وهو ما يفتقده الدارس النحوي القديم حيث كان جل اهتمامهم منصباً على دراسة المفردات وأبواب النحو، كما أنهم قد مزجوا منهجهم اللغوي بمناهج المنطق والفلسفة، فضاعت جهودهم تحت نظرتهم الفلسفية عن العامل والمعمول لذلك لم تأخذ دراسة الجملة عندهم حقها.

أما الصعوبات التي واجهت الباحث،فهى: قلة الدراسات التطبيقية العربية بوجه عام، وما وجد منها كان يركز على الجمل البسيطة دون التوجه إلى الجمل المركبة والمعقدة، وإن تطرق إلى الجمل المركبة فأبسطها، كما أن دراسة العربية الفصحى، وفي ديوان شاعر عباسى وغير مشروح يضطر الباحث في كثير من الأحيان إلى العودة إلى المعاجم العربية، كما أنه يحتاج الإلمام بالتراث النحوي والبلاغي، بالإضافة إلى تعدد المصطلحات و التعريفات والمفاهيم للمصطلح الواحد. مثل تعدد مصطلحات مفهومي البنية العميقة والبنية السطحية حتى قاربت العشرة لكل منهما، على مستوى البلد الواحد أو البلاد العربية، هذا بالإضافة إلى صعوبة النظرية في ذاتها.

أما الإشكال الكبير الذي واجه الباحث، فهو ، رتبة أجزاء الجملة وترتب على هذا الإشكال وجوب الحديث عن العلامات التي تتصل بالأفعال، وأنواع الجملة وأقسامها، والمشتق في الجملة، والموصول، والاسم المضاف لاسم موصول والمصدر المؤول، واختصاص كان وأخواتها، وإن وأخواتها والتوكيد والنفى بالدخول على الجملة الاسمية أو الفعلية، وفعل الكينونة، والرموز المستخدمة.

إن ترتيب الجملة عند تشومسكى في ضوء النظرية التوليدية التحويلية هو : (فاعل + فعل + مفعول) – هذا الترتيب هو ترتيب اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوربية – وهو يخالف الجملة العربية في رتبتها التي هى (فعل + فاعل + مفعول). والباحث في هذه الدراسة أخذ بترتيب تشومسكى، وليس هذا فرضاً على من يطبق هذه النظرية على لغته، لكن يرى الباحث أن ترتيب الجملة في العربية في الأصل يكون (فاعل + فعل + مفعول) أو كما سنعتمد في هذه الدراسة : (مسند إليه + مسند) وذلك للأسباب الآتية-:

إن الترتيب الأصلي للجملة الاسمية في اللغة العربية هو : (مسند إليه + مسند) لكن قد يتقدم المسند لأسباب كما قال النحاة في باب التقديم والتأخير، ويمكن قياس هذا الترتيب على الجملة الفعلية فيكون الترتيب الأصلي للجملة الفعلية (فاعل + فعل) أى

(مسند إليه + مسند) ، فاعل هو (المسند إليه) والفعل هو (المسند) والأصل وجود الفاعل (المسند إليه) قبل الفعل (المسند) لكن تم تقديم الفعل (المسند) لدواع بلاغية مثلاً. على هذا يمكن عد هذا الترتيب (مسند إليه + مسند) هو الترتيب الأصلي للجملة العربية بصفة عامة.

ان اللغات الإنسانية تظهر فيها عملية التقديم والتأخير، وذلك لدواعي بلاغية مثلاً كما قلنا، فجملة مثل: الولد أكل التفاحة في الحديقة، يجوز في عناصرها التقديم والتأخير فيمكن أن تقول: أكل الولد التفاحة في الحديقة، التفاحة ، أكلها الولد في الحديقة، في الحديقة الولد أكل التفاحة. وهكذا يجوز التأخير والتقديم في عناصر هذه الجملة حيث يتقدم المسند على المسند إليه، أو يتقدم المتمم الإسنادي عليهما معا، وليس تقدم المسند على المسند إليه، أو تقدم أى عنصر آخر ليس معنى هذا التقدم أنه هو الترتيب الأصلي للجملة، فكثير من الجمل العربية يحدث فيها هذا التقديم والتأخير لكنه لا يمثل الترتيب الأصلي للجملة، نستطيع أن نقول بعد ذلك هذا ما حدث بالنسبة للجملة العربية حيث تقدم الفعل على الفاعل، وهذا التقديم لا يعنى أنه هو الترتيب الأصلي، لكن حدث تقديم الفعل وتأخير الفاعل لأغراض ودواع. وقد وجد النحاة أن كثيراً من الجمل العربية تبدأ بالفعل وبعدها الفاعل فظنوا أن هذا هو الترتيب الأصلي.

إن متكلم العربية يقر بوجود الفاعل (المسند إليه) أولاً، ثم يأتي بعده الفعل (المسند)، والفعل قبل المفعول، فالفعل لا يوجد إلا إذا وجد الفاعل الذي يقوم به، أى أن الفعل جاء نتيجة الفاعل، فالفعل يأتي في المرتبة الثانية بعد الفاعل، كما أن الواقع اللغوي يؤيد ذلك فهناك نسبة كبيرة من الجمل الفعلية بهذا الترتيب (مسند إليه + مسند) .قسم النحاة الجمل إلى اسمية وفعلية، فجملة مثل، يقوم محمد فعلية، ولكن إذا قدمنا الفاعل وقلنا: محمد يقوم اضطرب النحاة: هم يعرفون ضمنياً أنها جملة فعلية لكن تقسيمهم اضطرهم إلى القول بأنها اسمية مع أن الفاعل واحد في الجملتين، فالجملة اسمية لا لشيء إلا أن الفاعل تقدم على الفعل، وعندما رأوا ترتيب الجملة الفعلية في كثير من الأحيان (فعل + فاعل) تصوروا أن الفعل هو العامل في الفاعل، بالرغم من أنهم مقتنعون بأن الفعل ما هو إلا حركة ناتجة عن الفاعل، أو أن الفعل ما هو إلا إخبار عن الفاعل، إلا أنه ينبغي أن يسبق الفعل الفاعل– في رأيهم – بالرغم من وجود الفاعل قبل الفعل في الأصل، لكن فكرة العامل اضطرتهم إلى ذلك الترتيب، كذلك تعريفهم للجملة الاسمية اضطرهم إلى ذلك.

فطن الكوفيون إلى الاضطراب الذي وقع فيه النحاة في مثل: يقوم محمد ومحمد يقوم، وعدوا مثل هذين الجملتين من قبيل الجمل الفعلية غاية ما هنالك أن الأولى جاءت على خلاف الأصل فتقدم فيها الفعل وتأخر الفاعل والثانية جاءت على الأصل حيث تقدم الفاعل وتأخر الفعل، فهم لم يقولوا ذلك صراحة، وإنما قالوا ذلك عندما جوزوا تقديم الفاعل على الفعل.

إن متكلم العربية لا يتصور وجود فاعلين في وقت واحد لفعل، فهو في مثل: محمد يقوم : يقولون : محمد (مسند إليه) والفعل يقوم مسند وله (مسند إليه) هو (ضمير مقدر) يعود على محمد ، أى أن الفعل له فاعلان هما واحد، وهذا لا يعقل وسبب ذلك هو تأثير العامل من أن الفعل لا بد له من فاعل يأتي بعده ظاهراً أو مقدراً، وأن الفاعل لا يتقدم على الفعل، وأن تقديم الفاعل يسلمه إلى عامل آخر هو الابتداء، لذلك لا بد من

شغل الفعل بفاعل آخر. فجملة يقوم محمد هى محمد يقوم ولا فرق بينهما إلا في التقديم والتأخير. كذلك إذا تقدم ناسخ مثل كان وأخواتها أو " إن وأخواتها" أو " ظن وأخواتها" هى واحد فالمسند إليه هو "محمد" والمسند "يقوم" غاية ما هناك أنهـا سـبقت بعوامـل مختلفة لكن المسند إليه والمسند واحد.

يقول الدكتور داود عبده :" ويعتبرون الفاعل في مثل : (الرجل ذهب) ضميراً مستتراً تقديره "هو" للحفاظ على القاعدة التي تنص على وجوب تلو الفاعل للفعل رغم أنه ليس هناك أى مانع لغوي لوقوع الفاعل قبل الفعل.. ويقول : " فليس هناك من ينكر أن لكل لغة خصائصها، غير أن جملة مثل: الرجل ضرب الولد لو قيلت بأية لغة فـي العالم لما كان الفاعل فيها غير "الرجل" وأنا هو الضارب، إلا إذا كـان الإعـراب لا علاقة له بالمعنى، وعندها يكون لغوا [1] ."

كما يقول:" خلاصة القول أنه ليس من المقبول أن يكون هناك فاعلان في جملة مثل: "الرجل ذهب" ، "الرجل" كما هو واضح من معنى الجملة، وفاعل آخر اخترعـه النحاة هو " الضمير المستتر [2] ."

ويعتبر ابن يعيش الوحيد الذي صرح بأن الترتيب الأصلي للجملة الفعلية هـو وجود الفاعل قبل الفعل، يقول:" اعلم أن القياس في الفعل من حيث هو حركة الفاعـل في الأصل، أن يكون بعد الفاعل، لأن وجوده قبل وجود فعله . [3] لكن تـأثره بفكـرة العامل جعلته يعدل عن هذا الرأي بالرغم من اقتناعه به.

إذا كان الفاعل مقدما وجاء بعده الفعل فإن الفعل تظهر فيه علامات المطابقـة، وإذا تأخر الفاعل تزول تلك العلامات من الفعل. أى أن علامة المطابقة لا تظهر إلا إذا تحققت الرتبة الأصلية بين الفاعل والفعل وهى "مسند إليه + مسند" أما إذا اختلت هـذه الرتبة لغرض ما، اختل معها ميزان التطابق ، ولزم الفعل حالة واحـدة مـع المفـرد والمثنى والجمع ويمكن الاستدلال على ذلك بالأمثلة التالية: الرجل قام، الرجلان قامـا، والرجال قاموا. فإن الفعل (قام) يدل على أن الذي قام به مفرد مذكر في الجملة الأولى ، ومثنى مذكر في الثانية، وجمع مذكر في الثالثة، أما إذا عكسنا الترتيب السابق وقلنا: قام الرجل، وقام الرجلان، وقام الرجال. هنا لا نستدل من الفعل (قام) على نوع الفاعل، وعدده أهو مفرد مذكر ، أم مثنى، أم جمع، لكن إذا عاد الفاعل لرتبته الأصـلية قبـل الفعل، تلحق الفعل علامة تدل على العدد والنوع. كذلك لو قلنا: كتبت البنـت، كتبـت البنتان ، كتبت البنات. فالفعل (كتب) لم نستدل منه على عدد من قام بالفعل، وإن كنـا نعرف أنه مؤنث، لكن لا نعلم، أهو مفرد ، أم مثنى ، أم جمع؟ ولمعرفـة ذلـك نعيـد ترتيب الجملة حيث يعود الفاعل إلى رتبته الأصلية فيتقدم وبهذا نعرف عـدد الفاعـل الذي قام بالفعل. فتقول: البنت كتبت، البنتان كتبتا، البنات كتبن. فتقدم الفعل لم نسـتدل من تقدمه على العدد لكن إذا عاد لموقعه الأصلي اتضح ذلك ولعل ذلك يؤكد ما نقولـه بأن الأصل في ترتيب الجملة الفعلية هو : (مسند إليه + مسند). ويؤكد هـذا الترتيـب

---

(1) أبحاث في اللغة العربية : د. داود عبده، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٣ : ٧١.

(2) أبحاث في اللغة العربية : ٧٣

(3) شرح المفصل : لابن يعيش، عالم الكتب ، بيروت (بدون تاريخ) :١/٧٥.

أيضا، أن الغالب في اللهجات العربية أن يتقدم المسند إليه على المسند، ويكفي أن ننظر إلى اللهجة المصرية: يقول المصريون: محمد جه (أى جاء).

عد النحاة الضمائر التي تتصل بالأفعال ضمائر يسند إليها الفعل مع وجود الفاعل الحقيقي المتقدم، وقد قلنا كيف يوجد فاعلان في آن واحد وأن هذا ضرباً من الترف في التأويل والتقدير ليتمشى مع كلامهم، وكان من الأولى أن يعدوه رابطاً أو عائداً أو علامات مطابقة كالمثنى وجمع المذكر السالم.

يقول بعض الدارسين : " .. إن ما سماه بعض النحاة ضميراً متصلاً وسموه فاعلا، ليس إلا مظهرا من مظاهر المطابقة فى اللغة، وأن الفاعل هو الاسم أو الضمير، أو أحدهما ، في مثل "الرجال ذهبوا، أو "هم ذهبوا" ، أو " ذهب الرجال" ، أو "ذهبوا هم" حيث لا يوجد اسم أو ضمير، فالفاعل ضمير حذف لوجود ما يدل عليه من ظاهر المطابقة فهو "هم" في المثال السابق، و "هن" في مثل ذهبن، و "هما" في مثل "ذهبا"، و"هو" في مثل "ذهبت [1] ."

إذا العلامات التي تلحق الأفعال هى علامات تدل على نوع من قام بالفعل، وعدده أو هى علامات مطابقة بين الفعل وفاعله، وليس لها أى دور غير ذلك، أو أنها تقوم بدور المسند إليه أقل ما يقال فيه أنه تشبث بالجانب الشكلي. لأن وجود الفاعل الحقيقي مع الفعل يغنينا عن إعراب تلك العلامات فاعلاً للفعل، كما أنه لا يعقل أن يكون للفعل فاعلان، كما أنه لا يعقل أن نترك الفاعل الأصلي إذا جاء قبل الفعل، ويعد علامة المطابقة المتصلة بفعله هى الفاعل لمجرد أن الفاعل جاء متقدماً. ومما يؤكد أن هذه الضمائرما هى إلا علامات مطابقة، وليست ضمائر هو وجود لغة تلتزم بإلحاق الفعل علامة مطابقة، مع وجود الفاعل بعد الفعل، وهى لغة، "أكلوني البراغيث"، كما أننا نجد شيئا من هذا في الشعر العربي والقرآن الكريم، واللهجات العربية الحديثة، إلى جانب اللغات السامية شقيقات العربية التي تلتزم بهذا، وهو مطابقة الفعل لفاعلة مع تأخر الفاعل عن الفعل.

يقول سيبويه ... " : ولم يكونوا ليحذفوا الألف، لأنها علامة الإضمار، والتثنية في قول من قال: أكلوني البراغيث، وبمنزلة التاء في قلت وقالت [2] ."

ويقول:" وإذا أردت جمع المؤنث في الفعل المضارع ألحقت للعلامة نوناً، وكانت علامة الإضمار والجمع. فيمن قال أكلوني البراغيث [3] ."

فسيبويه يرى أن العلامات التي تلحق الأسماء، هى بمنزلة العلامات التي تلحق الأفعال حيث يقول: " فإن بدأت بالاسم قبل الصفة قلت: قومك منطلقون ، وقومك حسنون، كما تقول أبواك قالا ذاك، وقومك قالوا ذلك، فإن بدأت بنعت مؤنث فهو يجري مجرى المذكر إلا أنك تدخل الهاء، وذلك قولك، أذاهبة جاريتك، وأكريمة نساؤكم ، فصارت التاء في الأسماء بمنزلة التاء في الفعل، إذا قلت: قالت نساؤكم، وذهبت جاريتك. وإنما قلت أكريمة نساؤكم ، على قول من قال: أنساؤكم كريمات، إذا أخر

---

[1] أبحاث في اللغة العربية : د. داود عبده، بيروت ١٩٧٣ : ٧١.

[2] الكتاب : لسيبويه، تحقيق محمد عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجى القاهره ١٩٧٧ : ١٩/١.

[3] الكتاب : لسيبويه، تحقيق محمد عبدالسلام محمد هارون، : ٢٠/١

الصفة، والألف والتاء، والواو والياء، والنون في الجمع ، والألف والنون في التثنية بمنزلة الواو والألف في قالا وقالوا ، وبمنزلة الواو والنون في يقولون [1] ."

فسيبويه يرى أن العلامات الملحقة بالصفات المشتقة هي بمنزلة العلامات الموجودة في الأفعال، وسوف يأخذ الباحث برأيه هذا ويرى أن الضمائر في الأفعال ما هي إلا ملحقات وعلامات، خصوصا إذا أخذنا في الاعتبار أن هذه الصفات المشتقة كانت قبل أن تكون صفات كانت أفعالا، وعندما تحولت إلى أفعال أخذت معها تلك العلامات فإذا قلنا: البنتان تكتبان وأردنا أن نحول الفعل إلى وصف مشتق فإن علامة المطابقة تظل كما هي (البنتان+ ذاهب+ ت + ان) وكذلك في الجمع، إذا علامات المطابقة في الصفات المشتقة هي نفسها التي كانت تحملها لما كانت أفعالا، وإنما الذي يُحوّل هو الجذر الفعلي دون مساس بعلامات المطابقة. إذا كيف تعد هذه العلامات مع المشتقات علامات مطابقة ومع الأفعال ضمائر يسند إليها.

ويفسر سيبويه السر في عدم ظهور تلك العلامات مع الفعل في حالة تقدمه عن الفاعل بقوله :" وإنما قالت العرب: قال قومك، وقال أبواك، لأنهم اكتفوا بما أظهروا عن أن يقولوا: قالا أبواك، وقالوا قومك، فحذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا"[2] ومما يؤكد قول سيبويه على أن العلامات التي تلحق بالأفعال هي علامات مطابقة قول ابن يعيش:" ... وإذا قلت قاما الزيدان، فالألف حرف مؤذن بأن الفعل لاثنين، وكذلك إذا قلت: قاموا الزيدون، فالواو حرف مؤذن بأن الفعل لجماعة، وهي لغة فاشية لبعض العرب ، كثيرة في كلام العرب وأشعارهم، وعليه جاء قولهم: أكلوني البراغيث، في أحد الوجوه.

يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم يعذل
ألفيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقية [3]

ومن القرآن الكريم : " ثم عموا وصموا كثير " منهم" المائدة : ٥/٧١
" واسروا النجوى الذين ظلموا" الأنبياء: ٢١/٣

ويظهر هذا أيضا في اللهجات العربية مثل : راحوا العيال ، وضربوني العيال، نجد ذلك أيضا في اللغات السامية.

ويرى الدكتور رمضان أن مقارنة اللغات السامية أخوات العربية قد دلت على وجود هذه الظاهرة، وهي ظاهرة المطابقة بين الفعل والفاعل المثني، أو الجمع، كما يرى أن العربية قد تخلصت من هذه الظاهرة تدريجيا وذلك أخذا بمبدأ الاستغناء عن بعض العلامات عند تكدسها، للدلالة على الظاهرة الواحدة، فإن الذي كان يدل على التثنية هنا هو علامة التثنية في الفعل، ووضع الفاعل في صيغة المثنى، وكذلك كان يدل على الجمع علامته المتصلة بالفعل ووضع الفاعل في صيغة الجمع، وإذا استغنت اللغة عن العلامة المتصلة بالفعل، لم تخسر الدلالة على التثنية والجمع، بوجود ما يدل عليها في صيغة الفاعل نفسها. [4] وإذا اعتبرنا الملحقات السابقة التي تلحق الفعل مجرد علامات مطابقة، فقياسا على ذلك يمكن اعتبار ضمائر الرفع المتصلة الدالة على

---

(١) الكتاب : لسيبويه : ٢/٣٦.
(٢) الكتاب : لسيبويه ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون : ٢/٣٦-٣٧.
(٣) شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب بيروت (بدون تاريخ) : ٣/٨٧-٨٩.
(٤) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د.رمضان عبدالتواب ، الخانجي ، القاهرة ١٩٨٥: ٣٠٠-٣٠١

المتكلم والمخاطب، من علامات المطابقة لما يسبقها من متكلمين أو مخاطبين، أو هي إشارات دالة على العدد والنوع والشخص.

هذه هي أهم الأسباب التي جعلت الباحث يرى أن الترتيب الأصلي للجملة العربية (مسند إليه + مسند) أو (ركن اسمي + ركن فعلي + ركن اسمي). وهو ما اعتمدناه في هذه الدراسة.

جاء تقسيمنا للجملة في هذه الدراسة إلى جملة اسمية وفعلية بسيطة ومركبة مخالفاً لبعض أقوال النحاة في بعض جوانب، منها أن الجملة الاسمية البسيطة هي ما كانت مكونه من مسند إليه (اسم + مسند) وصف مشتق أو اسم جامد أو شبة جملة) فقط. والجملة الفعلية البسيطة هي ما تكونت من (فعل + فاعل) أو (فاعل + فعل) أي هنا يجوز تقديم الفاعل أو تأخيره. وهنا الاختلاف مع النحاة العرب فهم يعدون الترتيب الأول (فعل + فاعل) جملة فعلية بسيطة ونحن معهم في دراستنا ، ويعدون الترتيب الثاني (فاعل + فعل) جملة اسمية مركبة، ونحن لا نوافقهم على ذلك بل نعدها من قبيل الجملة الفعلية البسيطة غاية ما هنالك أن الفاعل تقدم – سبق الحديث عن هذه النقطة.

والجملة الاسمية المركبة التى تتكون من (مسند إليه + مسند جملة اسمية مكونه من ، مسند إليه + مسند ، أو مسند جملة فعلية مكونه من ، مسند + مسند إليه مخالف للمسند إليه الموجود في بداية الجملة) ونستطيع تلخيص المنهج المتبع من خلال الجمل الآتية :-

١- جملة اسمية بسيطة : أنت رجل ، والسماء صافية، الإخلاص في العمل.
٢- جملة فعلية بسيطة : الطالب قام ، وقام الطالب.
٣- جملة اسمية مركبة : الطالب أخوه ناجح ، الطالب نجح أخوه.
٤- جملة فعلية مركبة : إن أشكال الجملة الفعلية المركبة كثيرة فقد يكون المسند إليه جملة اسمية أو جملة فعلية أو جملة موصول أومصدرا مؤولاً ، أو مفرداً، ويكون المفعول به جملة أيضا اسمية أو فعلية أو مصدرا مؤولاً ويتضح كل ذلك من خلال الدراسة التطبيقية ... وهذا ما سيتضح في الجانب التطبيقي.

إذا وجد مشتق في الجملة التي نحللها فإن هذا الاسم المشتق يظهر في التركيب المستتر على أنه جملة فعلية ، لا تختلف عن الجملة الفعلية العادية سواء كان المشتق مسنداً في جملة اسمية أو نعتاً أو مفعولاً أو فاعلاً أو غيره من الواقع. أى الجملة المشتملة على مشتق تظهر في التركيب المستتر جملتين.

إذا جاء في الجملة المراد تحليلها اسم موصول ، أو اسم مضاف لاسم موصول اعتبرنا الموصول مع ما اسند إليه جملة لأن الموصول من المبهمات ولا يؤدي معنى بمفرده وإنما بما اسند إليه ويترتب على ذلك أن تكون الجملة مركبة لأنها تتكون من جملة عادية + جملة الموصول وهذا الموصول يأتي في الجملتين الاسمية والفعلية، كما تم اعتبار الاسم المضاف لاسم موصول بأنه اسم موصول على اعتبار أن المتضايفين كالكلمة الواحدة.

وكذلك إذا جاء في الجملة مصدر مؤول واحتل أى ركن من أركان الجملة فإن الجملة تدخل في إطار الجملة المركبة اسمية أو فعلية.

وترتب على تقسيم الجملة السابق إلى عدم اختصاص كان وأخواتها، أو إن وأخواتها، بالدخول على الاسمية فقط بل تدخلان أيضا على الجملة الفعلية ، كذلك

أدوات التوكيد والنفى باستثناء "قد" ونون التوكيد " ولم ، ولما" ، و"لن" فإنها تدخل على الفعلية فقط. و "قد" تدخل على الاسمية إذا صدرت الجملة الاسمية بفعل ناسخ.

وقد تم اعتبار " كان وأخواتها وكاد وأخواتها" روابط إسنادية ، جاءت للربط الإسنادى فقط بين أجزاء الجملة، أى هى أشبه بفعل مساعد في الجملة، ليس لها وظيفة سوى الربط الإسنادى على اعتبار أنها كانت كذلك في مرحلة من مراحل العربية وبقى منها آثار في اللغة، كذلك سوف تظهر في التركيب المستتر حتى لو كانت غير موجودة أصلاً في التركيب الظاهر، وهذا ما سنناقشه في الصفحات التالية.

عرفت العربية نوعين من الأفعال، الأفعال التامة مثل "حضر" فإن هذا الفعل يدل على شيئين مجتمعين معا هما (الحدث + الزمن)، والنوع الثاني الأفعال الناقصة، وهى كان وأخواتها وكاد وأخواتها وهذه تدل على الزمن فقط، ولما لم تدل على معنى سميت ناقصة. وقيل هى أفعال عبارة، أى أفعال لفظية لا حقيقة لها، لأن الفعل الحقيقي ما دل على حدث، فلما كانت هذه الأفعال لا تدل على حدث لم تكن أفعالاً إلا من جهة اللفظ والتصرف ولذلك قيل أفعال عبارة. [1]

ويؤيد قول ابن يعيش في أن هذه الأفعال تدل على الزمن فقط مجرداً من المعنى ابن الأنباري عندما تكلم عن "كان" يقول : "... ليس فعلاً حقيقيا، بل هو يدل على الزمان المجرد من الحدث، ولهذا يسمى فعل العبارة، فالمرفوع به مشبه بالفاعل، والمنصوب مشبه بالمفعول، فلهذا سمى المرفوع اسماً والمنصوب خبراً. [2] وهذه الأفعال ترفع الأول وتنصب الثاني. وهذه التسميات من منطلق التأثر بفكرة العامل، وليس من منطلق معانيها ودلالتها، والوظيفة التي تؤديها الجملة فشبهوها بالأفعال. وهذه الأفعال دخلت على الجملة الاسمية لتقيد المسند فيها بزمن معين، أى زمن تم أو لم يتم وهى وظيفتها الحقيقية ولا شأن لها بالرفع والنسخ، وهى لا تحتاج إلى اسم ولا خبر ليخبر به عنها، لأن الأفعال لا يخبر عنها، وإنما الذي يخبر عنه المسند لذلك يستحسن عدم تسميتها بالأفعال الناسخة أو الناقصة بل يسميها بأفعال الكينونة. وإن ما يؤكد وظيفة أفعال الكينونة في الجملة وأنها لربط المسند بزمن معين وأن وظيفتها لا تتعدى ذلك، قول ابن يعيش: " وكان وأخواتها موضوعه للدلالة على زمان وجود خبرها، فهى بمنزلة اسم من أسماء الزمان، يؤتى به في الجملة للدلالة على زمن وجود ذلك الخبر، فقولك " كان زيد قائما" بمنزلة قولك "زيد قائم أمس" ، وقولك، " يكون زيد قائماً بمنزلة" زيد قائم غدا ... [3] . ويقول أيضا : " ... فتدخل على المبتدأ والخبر لإفادة زمان الخبر، فيصير الخبر عوضاً عن الحدث فيها، فإذا قلت : كان زيد قائماً، فهو بمنزلة قام زيد، في إفادة الحدث والزمن [4] . ويؤكد هذه الفكرة الرضى [5] .

بهذا الفهم وتلك المعنى الذي ورد عند ابن يعيش والرضى يمكن القول بأن هذه الأفعال جاءت في العربية لربط الخبر في الجملة بكون عام أو وجود خاص في زمن

---

(1) شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب بيروت : ٨٩/٧ – ٩٠ وشرح الكافية للرضى، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥ : ٢٩/٢.

(2) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري، تحقيق محمد محى الدين ، إحياء التراث : ٨٢٦/٢.

(3) شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب بيروت : ٩٦/٢

(4) شرح المفصل لابن يعيش : ٩٧/٧

(5) شرح الكافية للرضى، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥ : ٢٩٠/٢

معين، وعلى هذا تكون تسميتها بأفعال الكينونة أو الوجود أقرب إلى دلالتها ووظيفتها. ويوجد من الدارسين من ارتضى هذه التسمية، وقسم هذه الأفعال حسب دلالتها، ووظيفتها في اللغة إلى: كينونة عامة وتمثلها:" كان" ، وكينونة خاصة وتمثلها: "أصبح – أضحى – أمسى – ظل – بات – غدا" ، وكينونة مستمرة وتمثلها: " مازال – ما برح – ما قتىء – ما انفك – مادام [1] . أما ليس فهى لنفى الخبر وهناك من يرى أنها حرف، وهناك من يرى فصلها عن فعل الكينونة وجعلها ضمن أدوات النفى الأخرى[2]

إذا كانت أفعال الكينونة قد ارتبطت في النحو العربي بالجملة الاسمية، فإنها وفق هذه الدراسة وكما قلنا من حرية الفاعل في التقديم والتأخير فإنه يمكن القول بأن أفعال الكينونة تدخل على الجملة الاسمية والفعلية تفيد في الأولى تقييد الخبر بزمن معين وكون عام أو خاص. تفيد في الثانية تقييد الفعل بزمن معين وكون عام أو خاص. فقولنا : الولد يأكل فالزمان غير تام وإذا قلنا : الولد كان يأكل فالزمان تام رغم بقائه على صيغته المضارعة فكان حولت صيغته إلى فعل زمنه تام وهذه الصورة لا تكون إلا مع أفعال الكينونة والأفعال الداخلة عليها وهكذا يؤدي هذه الوظيفة أيضاً الحرف "لم" الذي يقلب زمن الفعل من الحاضر إلى الماضي.

تعتبر هذه الأفعال بمثابة الفعل المساعد للفعل الأساسي لخلق صيغة زمنية ناتجة عن اشتراكهما معا، ولا يمكن أن تنتج تلك الصيغة من أحدهما دون الآخر، على تلك الصورة. والصيغة الزمنية الناتجة، هى قلب زمن الفعل الأساسي في الحاضر من زمن غير تام إلى زمن تام، مع بقاء صيغة الفعل على حالها في الحاضر.

ومما يدل على أن الأفعال الناقصة ما هى إلا رابط إسنادى أو فعل مساعد أن الخبر شبه الجملة بنوعيه وشبه الجملة مع الموصول، يقدر النحاة قبلهما فعل كينونة، فتقدير النحاة ل "كان" في مثل هذه التراكيب دون غيرها من باقي أخواتها له دلالته الخاصة التي تجعلها هى فعل الكينونة الحقيقي العام، وإذا كانت العربية قد استخدمتها في الظاهر كما في الاستخدام اللغوي، استخدمتها مقدرة في كثير من التراكيب وقد يشاركها أخواتها في التركيب الظاهر، أما في التركيب المستتر لا يظهر معها فيه غيرها. وهذا إذا كان التركيب الظاهر خاليا منها.

وإذا كانت الجملة تتكون من ثلاثة عناصر، المسند إليه والمسند، والإسناد، فإن الإسناد أو الرابط الإسنادي في العربية هو فعل الكينونة، ويؤكد ذلك استخدام كان للدلالة على الزمن فقط كما أنها تأتى زائدة ، أو ما يسمى كان الشأنية فهى هنا ليست إلا لمجرد الربط بين المسند إليه والمسند، وأنها كانت كذلك في مرحلة من المراحل ثم بدأ هذا الفعل في الانقراض وبقيت بعض الشواهد التي يأتي بعدها المسند إليه والمسند مرفوعين أو عند زيادة كان فهى هنا ما هى إلا رابط إسنادي فقط.

لذلك سوف نعتبر في هذه الدراسة فعل الكينونة رابطا إسنادياً فقط، فإذا وجد أحدهما مع الجملة الاسمية في التركيب الظاهر فيظل هو نفسه في التركيب المستتر، وإذا خلت الجملة في التركيب الظاهر من وجود أى رابط، فإنه يتم إظهاره في التركيب

---

(1) في النحو العربي نقد وتوجيه : د. مهدى المخزومى، دار الرائد العربي بيروت ١٩٨٦ : ١٨٠ والفعل زمانه وابنيته، د.ابراهيم السامرائى، مطبعة العانى بغداد ١٩٦٦ : ٥٩

(2) الفعل وزمانه وأبنيته ، د. ابراهيم السامرائي : ٦٤. وفي النحو العربي نقد وتوجيه، د.مهدى المخزومي : ١٧٩

المستتر، وفعل الكينونة الذي سيظهر هو "كان" لأنها فعل الكينونة الحقيقي في العربية، ولأنها هى التي يقدرها النحاة في كثير من التراكيب اللغوية دون غيرها. أما الزمن فلا يظهر معها، لأن المقصود منها جانب الربط، بصرف النظر عن الزمن، فإذا قلنا: محمد يكون أخوك" ليس المقصود منها هنا هو التحديد الزمني، وإنما المقصود هو الربط، لأن الزمن في هذه الحالة يكون مطلقا غير محدد. وسيتم إظهار فعل الكينونة في التركيب المستتر بصورة واحدة، وهى صورة المفرد الغائب مع الماضي، لأنها أقرب إلى جذر الفعل بحيث لا يلحق بها أى علامة مطابقة. وذلك لتفادي تحويلات المطابقة في كل مرة يقدر فيها فعل الكينونة. وإبقاء تلك التحويلات مقتصرة على فعل الكينونة الذي قد يرد في التركيب الظاهر مع الجملة. فعلى سبيل المثال، إذا وجدت جملة خالية من فعل الكينونة في التركيب الظاهر مثل: "محمد رجل" ، فإن تركيبها المستتر يظهر على هذا النحو: " محمد # كان # رجل" ، أما إذا ظهر فعل الكينونة في التركيب الظهر، مثل: " كان محمد رجلاً " فإنها في التركيب المستتر تظهر على هذا النحو " محمد # زمن تام + كان # رجل". ويجب أن نشير إلى أن أفعال الكينونة تحتاج إلى دراسة وبحث ومعها ضمير الشأن "هو" على أساس أن هناك كثير من الدارسين من يعتبره هو أيضا من الروابط.

لقد قدمنا لكان بهذه المقدمة الموجزة لنوضح أننا اعتبرناها كرابط إسنادي سواء ظهرت في التركيب الظاهر أم لا ، ويتم تقديرها في التركيب المستتر إذا لم تظهر.

طبعة الديوان :

أما بالنسبة للطبعة التى اعتمد عليها الباحث في هذه الدارسة فهى طبعة دار المعارف ، شرح وتعليق وتحقيق حسن كامل الصيرفي- ١٩٦٣.

وقد سبق هذه الطبعة ثلاث طبعات: الأولى : طبعت بمطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٣٠٠ هـ(١٨٧٢م) وهى في جزئيين.. وهى غير مضبوطه بالشكل ولم تظفر بعناية. والثانية: طبعت في بيروت في المطبعة الأدبية سنة ١٩١١م وهى مضبوطة بالشكل الكامل وعلق عليها الشيخ رشيد عطية، وهى في جزئين.. وهى لم تسلم من أخطاء كثيرة. والثالثة: طبعت في القاهرة بمطبعة هندية بالموسكى سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) وجاء في صفحاتها الأولى أنها منقولة عن طبعة الجوائب. لكنها تختلف عن تلك الطبعة من حيث ترتيب القصائد.

أما الطبعة التى اعتمدنا عليها فهى تتكون من خمسة أجزاء، وقد راجعها محققها حسن كامل الصيرفى على خمس عشرة مخطوطة صورها من باريس والآستانة وهال (ليبنرج) وميونخ بألمانيا والمدينة المنورة والقاهرة، وهذه المخطوطات يختلف بعضها عن بعض فى النقص أو الزيادة في عدد الأبيات بل في ترتيب الأبيات كذلك، وأحيانا في مناسبة القصيدة. وقد اختار محقق الديوان حسن كامل الصيرفي المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس برقم ٣٠٨٦، وهى أقدم مخطوطة وقعت للمحقق رتب فيها القصائد على حروف المعاجم إذ يرجع تاريخها إلى ٦١٠هـ.

وهذه المخطوطة على ما فيها من ميزه الزيادة في عدد القصائد ناقصة، فألحق المحقق في نهاية كل قافية ما وجده في النسخ الأخرى حسب أقدميتها. هذا غير الأبيات الناقصة الموجوده بكتب الأدب وغير موجودة بالديوان وقد ختم الديوان بعدد من الفهارس الفنية التى تكشف عن ثروة هذا الشاعر اللغوية والعلمية والتاريخية.

البحتري نشأته وحياته شعره وثقافته : [1]

"أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر..." الطائي البحتري الشاعر المشهور ينتهي نسبه إلى قحطان، ولد عام ٢٠٤ للهجرة (بمنبج) إلى الشمال الشرقي من حلب على الطريق المؤدية منها إلى الفرات.

ثقافته : وقد مر البحتري في حياته بثلاث مراحل :-

والمرحلة الأولى من حياته لابد أن يكون قد توفر على حفظ القرآن مثل أقرانه من العرب الخلص في البيئات العربية الإسلامية، كما حفظ كثيرا من الأشعار والخطب واختلف إلى حلقات العلم والدرس بالمساجد وسرعان ما استيقظت فيه ملكته الشعرية.

والمرحلة الثانية : من حياته كانت بالعراق وفيها اتصل بالخلفاء وبكبار رجال الدولة من العرب والموالي وكان عصره الذهبي مع الخليفة المتوكل وكذلك المعتز.

أما المرحلة الثالثة : فتبدأ بعد موت المتوكل وقد تقلبت به الأحوال وضاقت به نفسه في كثير من المواقف الصعبة وفيها انتهى به المطاف إلى الرجوع إلى أرض الوطن والإقامة فيه.

" وكان البحتري يأخذ بحظوظ مختلفة من الثقافة الإسلامية والعربية في عصره وليس معنى ذلك أنه تخصص في أحد فروعها ولكنه كان يلم بها. وقد توفى عام ٢٨٤هـ.

أما الرموز المستخدمة في هذه الدراسة فهى كالتالي :-

(⟵)	يرمز إلى توليد التركيب المستتر
(⟸)	يشير إلى مرحلة التحويلات (تؤدي أو تتحول إلى)
(#)	علامة الحدود الفاصلة بين الكلمات أو الأركان مثل (أكل # ال+ولد).
(# #)	علامة الحدود الفاصلة الخاصة بالجملة مثل (# أكل # ال +ولد#)
(+)	علامة إيجاب ترد مع السمات الخاصة بكل مفردة معجمية لتشير إلى أن تلك السمة الموجبة هى خصائص تلك المفردة مثل (زمن تام+أكل) كما تمثل الحد الفاصل بين مورفيمات الكلمة مثل : (ال+ولد).
(-)	علامة سلب وهى العلامة المقابلة لعلاقة الإيجاب ، وهى ترد مع سمات

---

[1] وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨: ٢١/٦. والأغانى لأبى الفرج الاصفهانى، طبعة الساسى مصر : ٣٩/١. وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى، دار الكتاب العربى بيروت (نسخه مصورة عن طبعة الخانجى القاهرة ١٩٣١) : ٤٤٧/١٣. وأخبار البحترى للصولى، تحقيق د. صالح الأشتر، دار الفكر دمشق ١٩٦٤:١٤٤ = وأخبار أبى تمام للصولى، تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام، بيروت:٦٧. وزهر الآداب للحصري، شرح د. زكى مبارك، دار الجيل بيروت ١٠١/١٩٧٢:١. وتاريخ الأدب العربي، د.شوقى ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف القاهرة:٢٧٣.

المفردة المعجمية مثل (شيء # زمن تـام + فعـل + ت # سـه) [+ موصل -عاقل] أو (+ مذكر - مؤنث).

(Ø) علامة الحذف في الجملة التوليدية أو التحويلية وقد ظهرت هذه مـع إنّ وأخواتها عندما تخفف.

وللتمييز بين الفاعل (المسند إليه) سواء أكان ظاهراً أم مقدراً وبفعله علامـة مطابقة أم لا للتمييز بينهم استعنا بالأقواس ، فإذا كان الفاعل ظاهر لم يوضـع بـين أقواس وإذا كان مقدرا وبفعله علامة مطابقة وضع الفاعل هكذا (فاعل) وإذا كان مقدراً وليس له علامة مطابقة وضع هكذا ((فاعل)).

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة ، فهو المنهج الوصفي الإحصائي في ضوء النظرية التوليدية التحويلية مستفيدا من جميع المراحل التي مرت بها النظرية في تحليل الجملة، خصوصاً مرحلة النظرية النموذجية، وبعض ما جاء في النظرية النموذجيـة الموسعة، وقد تركزت هذه الدراسة على المستوى التركيبي فقط، لأن الجانب التركيبي أهم جانب اهتمت به هذه النظرية في شتى مراحلها، كما أن المكون التركيبي فيها هو المكون التوليدي الوحيد، أما المكونان الدلالي والفونولوجي فهما تفسيريان، لا يسهمان في توليد الجملة وتركيبها، فالمكون التركيبي هو المكون الأساسي في هذه النظريـة، وهو الذي يحدد لكل جملة تركيبها المستتر وتركيبها الظاهر، هذا بالإضـافة إلـى أن العمليات التحويلية في هذه النظرية ترجع إلى المكون التركيبـي. أمـا دور المكـون الدلالي فتتمثل مهمته في المرحلة النموذجية في إضفاء التفسير الدلالي على التركيـب المستتر بعد توليده. وأما دور المكون الفونولوجي، فيتمثل في إضفاء التفسير الصوتي على التركيب الظاهر الذي يمثل مخرج التحويلات. لذلك فإن هذه الدراسـة دراسـة تركيبية ، وكان المتبع في تحليل الجملة ما يأتي، إبراز التركيب المستتر لكل جملة – أجراء التحويلات اللازمة على التركيب المستتر – إبراز التركيب الظاهر بعد إجـراء كل التحويلات – تعيين مرحلة التفسير الفونولوجي للتركيب الظاهر – إبراز الجملة في شكلها النهائي المنطوق أو المكتوب.

وعن طريق الوصف تم تصنيف الجمل إلى أنماط ثم يندرج تحتهـا الصـور، ويندرج تحت الصور الأشكال. وكان الهدف من الوصف هو التنظيم والمنهجية بحيث يكون هناك منهج واحد في تصنيف الجملة وتنظيمها على شكل أنماط وصور وأشكال.

وعن طريق الإحصاء تمت معرفة عدد ورود كل نمط ونسبة شيوعه. وبذلك تم ترتيب الأنماط حسب نسبة شيوعها. وكان الهدف من الإحصاء معرفة نسبة شيوع كل نمط وعدد مرات وروده في الديوان، ليتسنى لنا مقارنة نتيجة الإحصاء بما جاء فـي النحو العربي من أحكام على بعض القضايا اللغوية التي قد تؤكدها نتيجة الإحصاء أو تنقضها.

أما طريقة التحليل للدراسة: فإننا نذكر النمط وعدد مراته ثم صـوره وعـدد مرات ورود كل صورة وعدد الأشكال التي تندرج تحت كل صورة. وكان التلخـيص كالتالي :

أننا نذكر النمط ثم الصور تحته فإذا كان للصورة أشكال اكتفينـا بـذكر عـدد الأشكال وتحليل بعضها فقط، أما إذا كانت الصورة بدون أشكال فكنا نحللها أو نكتفـى